محاضرات

في تاريخ أوربا في العصور الوسطى

المرحلة الأولى

ا.م.د مواهب عدنان احمد

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة تكريت

2024 - 2023

المحاضرة الأولى: مقدمة عن العصور الوسطى

تقدم المحاضرات الحالية شرحا مختصرا ومركز لأهم مفاصل التاريخ الأوربي الوسيط ، الذي دأب المؤرخون على تسميته بالعصور الوسطى أو القرون الوسطى ، باللغة الانكليزية Middle Ages أو Mediaeval History ، وبالفرنسيةMoyen Age. وهذا الحقل هو مرحلة وسطى بين التاريخ القديم والتاريخ الحديث ، وفقا للتحقيب التاريخي الاوربي العمودي. ولتاريخ العصور الوسطى (476-1453م) اهمية كبيرة في حقل التاريخ عموماً ، والتاريخ الاوربي على نحو خاص[1] . وتأتي هذه الاهمية لأسباب متعددة : فهذه الحقبة التاريخية الطويلة تشكل حلقة متصلة وأساسية في فهم التاريخ الأوربي الحديث ، واستمراراً منطقياً للتاريخ القديم بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الخامس الميلادي على ايدي القبائل الجرمانية . فغالبية التطورات التي حدثت في أوربا منذ عصر النهضة والعصور اللاحقة ، تستمد أصولها من التاريخ الوسيط . الى جانب ذلك ، فان تاريخ العصور الوسطى في اوربا يتزامن مع حقل التاريخ الاسلامي في الشرق ، بل انه يغطي الحقبة السابقة لظهور الاسلام ، وعهد الرسول محمد (ص) والعصرين الاموي والعباسي ، ثم الغزو المغولي للعالم الاسلامي وسقوط بغداد سنة (656هـ /1258م) ، وظهور عدد من الاسر الحاكمة في المشرق الاسلامي كالمماليك في مصر والشام والجلائريين والقرة قوينللو والآق قوينللو في العراق وانتهاء بظهور الدولة العثمانية وتوسعها نحو اوربا والمشرق الاسلامي . ووفقاً لذلك ، فان فهم العصر الوسيط يمكن ان يكون مدخلاً لإدراك الكثير من التطورات التي حدثت في المشرق الاسلامي في ذلك العصر.

وعلى الرغم من هذه الاهمية ، لم ينل حقل دراسة التاريخ الأوربي الوسيط في المؤسسات الاكاديمية العراقية الاهتمام الذي يستحقه . فإذا كان المؤرخون المصريون قدموا العديد من الدراسات الرصينة في هذا الحقل ، فان المؤسسات الاكاديمية العراقية ما زالت تشق طريقها في هذا الاتجاه بخطى وئيدة . فقد قدمت المؤسسات الاكاديمية

([1]) لبيان مدى الاهتمام الاكاديمي الاوربي بحقل التاريخ الوسيط ، يمكن الاطلاع على فهارس للمؤلفات والبحوث والدراسات الخاصة بالعصر الوسيط في الدليلين الاتيين :

Louis John Raetow , A Guide to the study of Medieval History , New York , Kraws Reprint , 1959 ; Gray Cowan Boyce (ed.) , Literature of Medieval History 1930-1975, New York , Kraws International Publications , 1981 .

المصرية اسماء بارزة في حقل التاريخ الوسيط مثل سعيد عبد الفتاح عاشور والسيد الباز العريني وعبد الحميد حمدي محمود وجوزيف نسيم يوسف وعبد المنعم ماجد وقاسم عبدة قاسم وغيرهم ، اما في العراق ، فتأتي كتابات استاذنا الراحل المؤرخ الرائد في حقل التاريخ الوسيط الدكتور عبد القادر احمد اليوسف في مقدمة الدراسات الرصينة في هذا الحقل . بالاضافة الى مس جوانب محددة من التاريخ الاوربي الوسيط من عدد من المتخصصين في حقل التاريخ الاندلسي وطلبتهم عند تطويرهم لرسائلهم واطروحاتهم ، هذا الحقل الذي يرتبط بالتاريخ الاوربي الوسيط والتاريخ العربي الاسلامي على حد سواء .

أقدم هذه المحاضرات الى طلبتنا في المرحلة الأولى لتكون مدخلا لهم لفهم التاريخ الأوربي في المراحل اللاحقة ، وأساسا لدارس التاريخ والمتخصص فيه. فهذه الحقبة الزمنية الطويلة التي إقتربت من الف عام شهدت تكوين الغرب الأوربي وأثرت في تكوين دول وشعوب أخرى في آسياوأوربا وأفريقيا ، بل أن مثل هذه التطورات اسهمت فيما حدث من حركات إقتصادية وفكرية وسياسية وعسكرية في مفتتح العصور الحديثة تمخض عنها إكتشاف أصقاع أخرى من الكرة الأرضية ، ولاسيما القارتين الأمريكية والأسترالية

المحاضرة الثانية: عوامل سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب

نظريات وآراء حول سقوط الإمبراطورية الرومانية

اختلف المؤرخون في تفسيرأسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب، ويرتبط ذلك بطبيعة الانحدار الفكري لهؤلاء المؤرخين. وقد حاول كل منهم ان يفسر سقوط الإمبراطورية تفسيراً معيناً متجاوزاً العوامل والأسباب الأخرى. ويمكن تلخيص أهم النظريات حول سقوط الإمبراطورية الرومانية بما يأتي :

1- التفسير الديني :

ينقسم التفسير الديني الى قسمين ، التفسير الوثني والتفسير المسيحي ،فقد عزى المؤرخون الوثنيون سقوط الإمبراطورية الرومانية الى ابتعاد الرومان عن عبادة الآلهة الوثنية وفي مقدمة هؤلاء المؤرخ زوزيميوس (Zosimus)، الذي عزى سقوط الإمبراطورية الرومانية الى عزوف الرومان عن عبادة الإلهة الوثنية والى انتشار الديانة المسيحية ، فادى ذلك الى غضب الالهة الرومانية.

اما المؤرخ الوثني الأخر فهو إميانوس مارسيلينوس Ammianus Marcellinus ، المولود عام 330 في أنطاكيا ،الذي عزى ضعف الإمبراطورية

الى فقدان الوازع الخلقي وعدم الشعور بالمسؤولية. لم يقتنع المؤرخون المسيحيون بهذا التفسير وحاولوا تفنيده ،وفي مقدمة هؤلاء المؤرخين القديس أوغسطين Saint Augustine (354–430م) . ولد اوغسطين في الجزائر من أصل روماني وكان أبوه موظفاً ويملك بعض الأراضي الزراعية ،نشأ وثنياً ثم اعتنق المسيحية في شبابه الأول ثم درس في قرطاجة وبعدها سافر الى ايطاليا . هداه القديس امبروس الى المعتقد الأصلي.

وفيما يخص سقوط الإمبراطورية الرومانية ،حاول اوغسطين ان يدافع عن وجهة النظر المسيحية ،ويتضح ذلك في كتابيه **مدينة الله** (The City of God) و**الاعترافات** (The Confessions).

يرى أوغسطين ان هناك صراعا بين مدينتين على الأرض: الأولى هي مدينة الله التي تمثل الخير والثانية هي مدينة الشر التي تمثل الشيطان. والحياة هي عبارة عن صراع بين مدينة الخير ومدينة الشر ،وان سقوط الإمبراطورية الرومانية جاء بسبب انحياز الرومان الى الآلهة الوثنية وابتعادهم عن الديانة المسيحية الجديدة ،لذلك فان سقوط الإمبراطورية الرومانية لم يكن بسبب ظهور هذه الديانة بل بسبب ابتعاد الرومان عن المثل والقيم الأخلاقية . لقد جاء رد فعل أوغسطين دفاعٌ عن المثل والقيم الأخلاقية ودفاعٌ عن المسيحية وتفنيد لوجهة النظر الدينية الوثنية .وعلى أية حال، فأن التفسير الديني بشقيه الوثني والمسيحي يؤكد على ان سقوط الإمبراطورية الرومانية جاء لأسباب دينية.

2- التفسير الاقتصادي :

يرى أنصار هذا التفسير ان سقوط الإمبراطورية الرومانية جاء لأسباب اقتصادية أثرت على وضع الإمبراطورية مما أدى الى سقوطها في النهاية ، ومن أنصار هذا التفسير المؤرخ البريطاني **هنتغتون** الذي أكد بأن هناك فترات يقل فيها سقوط المطر مما أدى الى تحويل المزارع الى مراعي و ضعف الإنتاج وهيجان القبائل الرومانية ، وقد سجلت المرحلة التاريخية الممتدة بين 200 الى 400م نقصاً متزايداً في هطول الإمطار أدى الى الجفاف والمجاعات والى تحركات البرابرة وطغيانهم على الإمبراطورية في الغرب. ويرى المؤرخ **سيمخوفتش** نفس رأي

هنتغتون مؤكداً ان قلة الأيدي العاملة بسبب انتشار الملاريا أدى الى قلة عدد الفلاحين، اما المؤرخ الروماني بلني فأنه يؤكد ان عدم قدرة الإمبراطورية على التوازن الاقتصادي أدى الى انهيار الحياة الاقتصادية. ويشير الأستاذ روستوفتزيف ،المختص بتاريخ العصور الوسطى، ان النزاع بين الطبقة الارستقراطية والفلاحين أدى الى تعميق مشاكل الإمبراطورية ،وكان الجيش الى جانب الفلاحين و حدثت معارك طاحنة أدت الى إضعاف الإمبراطورية.

3- النظرية الرسية (العرقية) Race Theory :

تؤكد هذه النظرية ان العناصر غير الرومانية هي التي قضت على الإمبراطورية، وهذا النقص في العنصر الروماني أدى الى تسلط العناصر غير الرومانية على الحكم. ويؤيد المؤرخ الانكليزي **ارنولد توينبي** Arnold Toynbee ، الذي درس إحدى وعشرين حضارة عالمية ،هذا الرأي مشيراً الى فشل الإمبراطورية في تمدين الفلاحين والقبائل الجرمانية مما أدى الى ضياع المثل الارستقراطية وسيادة العقلية الجماهيرية المعتمدة على الدين والمناهضة للمثل الارستقراطية، وبذلك يؤكد توينبي ان الرومان فشلوا في رومنة القبائل الجرمانية(اي جعلها متشربة بالقيم الرومانية) وتمدينها مما أدى الى سيادة المفاهيم البربرية المعاكسة للحضارة الرومانية ،بمعنى ان الجرمان نجحوا في جرمنة (أي جعله جرمانياً) المجتمع الرومانية.

4- النظرية البايولوجية Biological Theory :

من أبرز أنصار هذه النظرية المؤرخان **اسكويث** Asquith و**شبنغلر** اللذان شبها الدولة **بالكائن الحي** الذي يمر بثلاث مراحل : مرحلة الطفولة والشباب والكهولة ثم الوفاة ، وان الإمبراطورية الرومانية كانت تمر بمرحلة الكهولة مما أدى الى سقوطها على أيدي العناصر الجرمانية التي كانت تمر بمرحلة الشباب. ووفقا لذلك، يؤكد هذا التفسيرعلى العامل البايولوجي (الحياتي) لسقوط الإمبراطورية الرومانية.

5- العوامل الإدارية :

هناك من المؤرخين من أكد على ان الإمبراطورية الرومانية سقطت بسبب الإصلاحات الإدارية التي قام بها الإمبراطور **دقلديانوس** (284–305)، اذ أدت هذه الإصلاحات الى ضعف الإمبراطورية الرومانية، أما أهم الإصلاحات الإدارية التي قام بها دقلديانوس فهي :–

أولاً: قسم البلاد الى أربعة أقاليم

(1) إقليم بلاد الغال

(2) إقليم ايطاليا

(3) إقليم اليريا

(4) إقليم الشرق ويشتمل على الجهات الشرقية من البلقان وآسيا الصغرى ومصر.

ثانياً: جعل الإمبراطورية تحت أدارة إمبراطورين

(1) الإمبراطور الذي يدير الجهات الشرقية ومركزه في نيقوميديا

(2) جعل على القسم الغربي إمبراطورا يشرف على الأقسام الغربية ومقره في ايطاليا، أما العاصمة فكانت متنقلة بين المدن الايطالية مثل روما وميلان. وجعل أيضا قيصرين في القسم الشرقي وقيصرين في القسم الغربي.

ثالثاً: قسم الأقاليم الى وحدات اصغر.

رابعاً: فصل بين الجهازين العسكري والمدني في المعاملات الإدارية.

خامساً: جعل المهن وراثية.

هذه الإصلاحات السياسية والإدارية التي قام بها الإمبراطور دقلديانوس، الى جانب إصلاحاته الاقتصادية التي حاول من خلالها إنعاش الوضع الاقتصادي بسكه لعملات جديدة قلل فيها نسبة الذهب والفضة ، أسهمت في تأخير سقوط الإمبراطورية ردحا من الزمن ،الا أنها زادت، في الوقت ذاته، من تفاقم المشكلة الاقتصادية مما أدى الى فقدان العملة سمعتها .

أما إصلاحاته في **الجيش** ، فانه حاول ان يحل مشكلة النقص الحاصل في الجنود، فسمح للعناصر غير الرومانية بالانخراط في الجيش مما أدى الى القضاء على القيم الأرستقراطية التي كان الجيش ينشد أليها، يضاف الى ذلك ان دقلديانوس

نفسه يعد خير ممثل للعصر الذي عاش فيه ،فهو لم يكن من الأسرة الارستقراطية بل من أسرة فلاحيه من مقاطعة دالماشيا ، في آسيا الصغرى ، تدرج في المناصب الإدارية الى ان وصل الى رتبة الإمبراطور . وعلى اية حال، فان إصلاحات دقلديانوس الإدارية والاقتصادية والعسكرية قد أسهمت في إضعاف الإمبراطورية الرومانية وإسقاطها فيما بعد.

6- نظرية اداورد گيبون Edward Gibbon :

من مؤرخي القرن الثامن عشر أي عصر التنوير او الاستنارة وسمي ايضاً عصر العقل وهو عصر فولتير وجان جاك روسو وميرابو وغيرهم من المفكرين. لخص ادوارد گيبون آرائه بما يأتي : ان سقوط الإمبراطورية الرومانية يرتبط بعاملين :-

1- **انتشار الديانة المسيحية .**

2- **تدفق القبائل الجرمانية.**

ففي ما يخص العامل الأول، يشير گيبون بأن المسيحية قبل الاعتراف بها في عهد قسطنطين الكبير Constantine the Great(306 – 337) كانت عبارة عن معول هدم لكيان الإمبراطورية ،لمخالفة قيمها وتعاليمها للقيم الرومانية السائدة، فمن الناحية السياسية عدت المسيحية مفككة لرابطة الولاء للإمبراطور، لعدم اعتقادها بقدسية الإمبراطور الوثنية، ومن الناحية العسكرية لم تكن تؤمن في بدايتها بالعنف ،فهي ضد الحروب وضد العسكرية. اما مواقفها من القضايا الإقتصادية فكانت سلبية لأنها لا تؤمن بالإرباح المادية وكانت تدعو الى الكفاف،كما هو شعارها الرئيس ،وكانت هذه النظرة محبطة للقيم الاقتصادية السائدة في المجتمع الروماني المعتمد على العبودية ، وهي ضد الامتيازات الطبقية فدعت الى المساواة .الى جانب ذلك ، فان الصراع المذهبي بين الطوائف المسيحية كان من أسباب ضعف الإمبراطورية بقسميها الشرقي والغربي.

وفيما يخص النقطة الثانية ، يرى هذا المؤرخ ان **الجرمان** قد أسهموا في بربرة المجتمع الروماني وبالتالي أضعاف القيم السائدة مما أدى الى إرباك الحياة الاقتصادية.

ردت المدرسة التاريخية الألمانية على طروحات گيبون ،اذ دافعت عن المسيحية لان للكنيسة رسالة إنسانية ،وعملت على ترويض القبائل الجرمانية الغازية وحفظت التراث الروماني وأدت دوراً تثقيفياً طيلة العصور الوسطى .أما عن الجرمان فقد دافعت المدرسة التاريخية الألمانية عنهم على اعتبار ان هذه القبائل لم تحاول اقتحام الإمبراطورية بالقوة دائماً وإنما كان توغلها سلمياً أحيانا للعيش والاحتماء ،فأنخرط الجرمان في الجيش وعملوا كفلاحين ،وكانت القبائل الجرمانية عنصر قوة في المجتمع الروماني بعد ان أصابه التدهور والانحلال الخلقي وكان الجرمان أرقى خلقاً من الرومان ونستدل على ذلك مما كتبه المؤرخ الروماني تاكيتوس Tacitus في القرن الثاني الميلادي حينما أشارفي كتابه **جرمانيا** Germania بأن "**الجرمان أرقى خلقاً وامتن مجتمعاً من الرومان وان النساء الجرمانيات أكثر عفة من الرومانيات**".

7 – نظرية هنري بيرينPirenne thesis

يرى المؤرخ البلجيكي هنري بيرين ان وصول العرب المسلمين الى منطقة البحر المتوسط واندفاعهم نحو الشمال الإفريقي في سنة (634م) وفتحهم الأندلس عام (711م) قد أدى الى تحويل منطقة البحر المتوسط الى **بحيرة إسلامية** Islamic Lake ،بعد أن كانت حتى أواخر القرن الثامن الميلادي **بحيرة رومانية** Roman Lake. وقد عبر عن نظريته في كتابه الذي صدر بعد وفاته[2] **(محمد وشارلمان)** Mohamed and Charlemagne. وهكذا فأن القبائل الجرمانية لم تؤد الى سقوط الإمبراطورية الرومانية بل ان وصول العرب المسلمين الى اسبانيا وانتشارهم في السواحل الشرقية للبحر المتوسط هو الذي قضى على الثقافة والحضارة الرومانية في المنطقة ، "**فأصبح العالم يدور في فلك بغداد بعد ان كان يدور في فلك روما لعدة قرون**"، وفقا لرؤية بيرين .

([2]) توفي هنري بيرين عام 1935 ، وكان قد كتب غالبية مادة الكتاب عندما كان مسجونا من قبل النازيين . وقد أصدر إبنه جاك بيرين الكتاب عام 1937 .

ولم يكن مستغرباً ان يرى بعض المؤرخين وفي مقدمتهم جون لامونت[3] J. La Mont وهنري بيرين Henri pirenne في عهد شارلمان وتتويجه في سنة 800م البداية الحقيقية للعصر الوسيط. فقد شهد عهده ، من وجهة نظر هؤلاء المؤرخين ، اكتمال التحول من العصر القديم الى الوسيط ، وقد اتضح ذلك بسلسلة من التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والفكرية التي شهدها العصر الوسيط . وطبقاً الى بيرين ، فان عهد شارلمان حقق تحولاً سياسياً واقتصاديا جذريا ميزه عن العهد الميروفنجي . فاذا كان الميروفنجيون قد استمروا في مؤسساتهم وتنظيماتهم معتمدين على النظام الروماني المرتبط بمنطقة البحر المتوسط ، فان الكارولنجيين ، وابتداءاً من عهد شارلمان ، انعطفوا نحو بحر الشمال ، واقاموا سلسلة من المؤسسات الجديدة التي اصبحت ذات اهمية كبيرة في حضارة العصر الوسيط . وقد كان لانتشار الاسلام في الشمال الافريقي واسبانيا ، وتحول البحر المتوسط الى بحيرة اسلامية ، اثر كبير في هذا التحول الاقتصادي والسياسي في عالم العصر الوسيط. وكانت نتيجة هذا التوسع الانفصال النهائي بين الشرق والغرب ، ونهاية وحدة البحر المتوسط . فاصبحت افريقيا واسبانيا ، اللتان كانتا سابقا جزءاً من الغرب ، تدوران في فلك بغداد . واصبح البحر المتوسط بحيرة إسلامية . ولأول مرة ، انتقل محور الحياة في اوربا الى الشمال ، وكان من نتيجة ذلك انتهاء الدولة الميروفنجية ، التي كانت متوسطية في توجهاتها ، وولادة سلالة جديدة هي الكارولنجية، التي اصبح مركزها في شمال المانيا[4] .

تحالفت البابوية مع هذه السلالة الجديدة ، وانفصمت علاقتها بالامبراطور البيزنطي ، الذي ارهقه الصراع مع المسلمين ، ولم يستطع الاستمرار بحماية البابوية من

([3]) طرح لامونت فرضيته في كتابة

J. La Mont , The World of the Middle Ages , New York , 1949 , pp. 41-44 .

مقتبس في : جوزيف نسيم يوسف ، دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1988 ، ص125.

([4]) للتفاصيل عن نظرية هنري بيرين وارائه ، يراجع :

Henri Pirenne , Medieval cities , princeton , princeton university Press , 1948 , pp. 3-25; Henri Pirenne , Muhammed and Charlemagne , London , George Allen & Unwin Ltd , 1953 , pp. 284 – 285 ; Henri Pirenne , Economic and social History of Medieval Europe, London , Routledge & Kegan paul Ltd , 1953 ; pp. 1-39 .

أعدائها . كل هذه النتائج اصبحت واضحة في عهد شارلمان ، ليبدأ عصر جديد هو الذي أطلق عليه العصر الوسيط . فاضمحلت في الحقبة الممتدة بين سنتي 650و750م تقاليد العصر القديم ، وبرزت عناصر جديدة على السطح . لقد اكتمل هذا التطور في سنة 800م ، بتشكيل الامبراطورية الجديدة في الغرب ، التي اصبحت منافسة للإمبراطورية البيزنطية في الشرق[5] .

على الرغم من النقد الواسع الذي وجهه المؤرخون الغربيون لنظرية هنري بيرين وشككوا في صلاحيتها في تفسير التحول من العصر القديم الى العصر الوسيط[6]، فان مجرد الربط بين عهد شارلمان ووصول الحضارة العربية الاسلامية الى جنوب أوربا ، وسواحل البحر المتوسط ، والتداخل بين السياسات الكارولنجية والبيزنطية والبابوية والعربية الاسلامية، كان احد الاسباب الرئيسة التي دفعتني الى تتبع موضوع العلاقات الخارجية للدولة الكارولنجية ومدى ارتباطها بالتاريخ الاوربي الوسيط .

8- **عوامل أخرى:** الى جانب الآراء المشار أليها سابقاً هناك عوامل أخرى أشار اليها بعض المؤرخين فيرى البعض ان سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب جاء بسبب انحلال مؤسسة العبودية التي كانت المعين الذي لا ينضب لتجهيز المجتمع الروماني بالقوى العاملة التي أسهمت في ديمومة الإمبراطورية ،الا ان انهيار هذه المؤسسة أدى الى ضعف الإمبراطورية الرومانية التي كانت تعتمد الى حد كبير على العبيد فكانت هذه المؤسسة كما يرى احد المؤرخين "**الطاقة التي توفر للمجتمع الروماني أسباب البقاء**".

المحاضرة الثالثة:

نستخلص مما سبق ان أهم أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية ما يأتي:

1- العوامل الزراعية :

أ- قلة مصادر المياه.

ب-إهمال الري.

([5]) Henri Pirenne , Muhammed and Charlemagne , pp. 284 – 285

([6]) حول نقد نظرية هنري بيرين ينظر :

Howard L. Adelson and (Others) , Medieval Commerce , London , D. van Nostr and co., 1962 , pp. 39 – 42 .

ج–سياسة الاكتفاء الذاتي نتيجة لفقدان الأمن وقلة الأيدي العاملة.

د– التشدد في جباية الضرائب مما أدى الى هروب الفلاحين.

2– الصناعية والتجارية.

أ– قلة المعدنين الثمينين الذهب والفضة حيث يمثل هذان المعدنان الوسيلة الرئيسة للتعامل التجاري.

ب– ان الصناعة الرومانية كانت للاستهلاك المحلي.

ج– اعتمدت الصناعة على نظام العبودية ولم يتم تعويض نقص الأيدي العاملة.

د– ازدراء الرومان للحرف الزراعية والصناعية لان هذه الحرف هي من اختصاص العبيد ولا يعمل الأسياد فيها.

ثانياً– العوامل الاجتماعية:–

أ– الصراع بين الارستقراطية والفلاحين ودخول الجيش الى جانب الفلاحين.

ب– انتشار الترف بين الطبقات الارستقراطية الحاكمة وإهمالها شؤون الحكم.

ج– انتشار الإمراض وعدم قدرة الإمبراطورية القضاء على هذه الإمراض.

ثالثاً– العوامل السياسية والإدارية:

1– إصلاحات دقلديانوس .

2– هجوم القبائل الجرمانية وعدم قدرة الإمبراطورية الدفاع عن حدودها.

هذه هي أهم العوامل لسقوط الإمبراطورية الرومانية، ويتضح من خلالها ان ضعف النظام السياسي وعدم إيفائه بمتطلبات المرحلة أدى الى التأثير سلباً على العوامل الأخرى ،اذ تفاعلت العوامل السياسية مع العوامل الاقتصادية والاجتماعية لتؤدي الى انحلال وسقوط المجتمع الروماني الذي تمخض عنه سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب (476م) وبداية مرحلة جديدة في تاريخ أوربا هي مرحلة العصور الوسطى.

المحاضرة الرابعة: القبائل الجرمانية

الجرمان أو التيوتون هم جزء من موجات من الهجرات التي إجتاحت أوربا في العصور الوسطى. كانوا أقرب عناصر البرابرة من حدود الإمبراطورية

الرومانية.إنتشروا في القرنين الأول والثاني الميلادي في أواسط أوربا وشرقهاعبر نهري الراين والدانوب.أما الموطن الأول للجرمان فكان البلاد المحيطة ببحر البلطيق .أخذوا يتحركون من هناك الجنوبا ليحلوا محل الكلت حتى غستقروا في المناطق الواقعة بين نهري الالب والراين .

أطلق عليهم الرومان أيضا إسم البرابرة ، لانهم نظروا اليهم على نحو متدني .كان الجرمان يحتلون الأراضيالتي تسمى اليوم ألمانيا والنمسا ، وعم فرع من العرق الآري الذي كان يسكن قديما في آسيا ، وربما كانوا يقيمون على شواطىء بحر الخزر(قزوين) . إستقرت القبائل الجرمانية في بداية العصور التاريخية في حوضي نهري الأودر والألب . اختلف المؤرخون في أصول **القبائل الجرمانية** Germanic Tribes ، والمنطقة التي كانت تسكن فيها قبل دخولهم الى الإمبراطورية الرومانية والسبب في ذلك هو قلة الكتابات المعاصرة عن هذه القبائل قبل دخولها الى الإمبراطورية.ويشير غالبية المؤرخين الى ان هذه القبائل ذات أصول آسيوية دخلت الإمبراطورية بسبب الضغط الحاصل عليها من مجموعات آسيوية أخرى.ويعد كتاب (تاكيتوس Tacitus) المعنون (جرمانيا – Germania) من اقدم ما كتب عن الجرمان وعاداتهم وتقاليدهم الأولى ، ويرجع هذا الكتاب الى القرن الثاني الميلادي ، حيث زارهم تاكيتوس وعاش بينهم وقدم وصفاً لحياتهم. ووفقا الى تاكيتوس ، إحتفظ الجرمان بكثير من التقاليد والنظم التي تعارضت مع المفاهيم الرومانية .كان الفرد هو أساس المجتمع الجرماني وتحدد أهميته وفقا لسطوته وقوته ونفوذه .تميز الجمان بطاعة زعيمهم الذي يمثل القانون بالنسبة لهم . أما أخلاقهم فكانت مزيجا من النقائض والفضائل التي عرفت بها الشعوب البدائية . متميزوا أيضا بإحترام المرأة والأكتفاء بزوجة واحدة ، إلا أن النبلاء تخلوا عن هذه العادة عندما إزداد نفوذهم وثرواتهم.

كانت ديانة الجرمان خليطا من الأساطير وعبادة قوى الطبيعةمثل الشمس والقمر والرعد وغيرها.إلا أنهم لم يقيموا تماثيل أو معابد ولم يؤلف كهنتهم طبقة خاصة في مجتمعهم. كانت الأسرة أساس المجتمع الجرماني وسلطة الاب مطلقة وتكون مجموعة الاسر المرتبطة برابطة الدم العشائر التي شكلت أساس دولتهم فيما

بعد.وتكون مجتمعهم من النبلاء ولأحرار والعبيد ، وكانت الطبقة الأولى هي المتنفذة وعملها الأساس هو القتال .

والجرمان Germans او التيوتون Teutons هم أعداد كبيرة من القبائل التي دخلت الإمبراطورية الرومانية في مدد مختلفة، ويمكن ان نحدد القبائل الجرمانية التي أدت دوراً مهماً في التاريخ الأوربي الوسيط بما يأتي :-

1- الغوط الغربيون Visigoths .
2- الغوط الشرقيون Ostrogoths
3- الوندال Vandals
4- اللمبارد Lombards
5- البروكنديون Brugandians
6- الانكليز Angles
7- السكسون Saxons
8- الانكليز Angles
9- الفرنجة Franks
10- الجوت Jutes

الغوط الغربيون Visigoths :

تقسم القبائل البربرية التي غزت الإمبراطورية الرومانية الى قسمين :-

القبائل الآسيوية والقبائل الجرمانية . ضمت القبائل الآسيوية قبيلة الهون Huns التي هاجرت غرباً الى أواسط آسيا في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي وأخذت تمارس ضغطاً على القبائل الجرمانية المتواجدة على جانبي البحر الأسود الشمالية والشمالية الغربية . كان الإصطدام الأول لقبائل الهون مع قبائل الالن Allens التي كانت موجودة في تلك المناطق الى جانب قبيلتي الغوط الغربيين والغوط الشرقيين . تمكن الهون من الإنتصار على قبيلة الغوط الشرقيين الذين تم ضمهم تحت سيادة الهون ، ثم استطاع الغوط الغربيون الاتجاه صوب أقاليم الإمبراطورية الرومانية ، فقدموا طلباً الى الإمبراطور الروماني فالنز Valens الذي كان يقيم في القسطنطينية، وكان الطلب في عام 376م، وفحوى هذا الطلب ان يسمح لهم بالإقامة داخل حدود

الإمبراطورية . وافق الإمبراطور على الطلب ويمكن تلخيص أهم دوافع الإمبراطور فالنز عندما وافق على طلب الغوط الغربيين بالاستقرار في الإمبراطورية الرومانية بما يأتي :-

1- الاستفادة منهم كحاجز عسكري يصد هجمات الهون.

2- امكانية الاستفادة منهم في الزراعة.

3- لتقوية المذهب الاريوسي الذي كان يعتنقه الإمبراطور فالنز لان قبائل الغوط اعتنقوا المسيحية وفقاً للمذهب الاريوسي.

تلاشى أمل الإمبراطور فالنز بالأفادة من هذه القبائل ، اذ حدث سوء تفاهم بين تلك القبائل وبين الجيش الروماني إثناء عبور نهر الدانوب، الى جانب ان الحامية الرومانية في الدانوب لم تنفذ أوامر الإمبراطور في تلك المنطقة مما أدى الى اثارة قبائل الغوط الغربيين، فحدثت مناوشات عسكرية تطورت الى معركة كبرى بين الحامية الرومانية والغوط الغربيين ويطلق على هذه المعركة بين الجانبين اسم **معركة ادرنة** الشهيرة Adrianople Battle التي حدثت في سنة (378م) وحقق فيها الغوط الغربيون انتصاراً كبيراً . أدت هذه المعركة الى قتل الإمبراطور الروماني فالنز . أشرت **معركة أدرنة** تحولا كبيرا في وضع الإمبراطورية وقدرتها على صد الهجمات الجرمانية . فإنتصار الغوط الغربيون على الرومان أشر مدى ضعف الإمبراطورية وعدم قدرتها على الحفاظ على الأمن الداخلي . وهذا الإنتصار بين قدرة هذه القبائل الجديدة على التأثير على مصير الإمبراطورية. ووفقا لهذا الفهم، عد بعض المؤرخين **معركة أدرنة** بداية لعصر جديد ، أطلقوا عليه العصور الوسطى . فكانت هذه المعركة من وجهة بعض المؤرخين نهاية للتاريخ القديم وبداية للعصور الوسطى.

تمكن الإمبراطور الذي تولى الحكم بعد فالنز وهو ثيودوسيوس الاول Theodosius1(378-395م) ، الذي تمكن من تهدئة الغوط الغربيين وسمح لهم بالسكن في مناطق الادرياتك البلقانية، اما السبب الأساسي للسماح لهذه القبائل بالتحرك نحو الجهات الغربية فهو ابعاد خطرهم عن القسطنطينية لان المناطق الغربية من الإمبراطورية لم تعد مناطق ستراتيجية بالنسبة للأباطرة الرومان الشرقيين . وكان الغوط الغربيون يقومون بغارات متواصلة على ايطاليا خاصة بعد وفاة

الإمبراطـور ثيودوسـيوس ، اذ قسـم هـذا الإمبراطوريـة الإمبراطوريـة بـين ولديـه هونوريوس الذي حكم الجزء الغربي بين (395–424م) واركاديوس الذي حكم في الجزء الشرقي بين (395–408م).

كان المتسلط على شخصية هونوريوس في القسم الغربي رئيس وزرائه **ستيلكو** وهو من اصل جرماني . اتبع ستيلكو أساليب دبلوماسية مع قبائل الغوط الغربيين ، فكانوا هادئين طالما كان ستيلكو في منصبه ، إلا انه في سنة (408م) حرك بعض الرومان في البلاط **هورنوريوس** ضد ستيلكو واتهموا الأخير بالتواطؤ مع الغوط الغربيين ضد الإمبراطور، مما دفع هورنوريوس الى اغتيال ستيلكو سنة (408م) ، وقد ادى ذلك الى هياج الغوط الغربيين في عهد زعيمهم الاريك Alaric . قدم الاريك مطالب الى هونوريوس منها استمرار الأتاوات التي كانت تدفع لهم من قبل ستيلكو وان يعينه حاكماً عاماً على جهات الادرياتك الشمالية ، وان يخصص لقبائله بعض الأراضي في داخل ايطاليا . ولم يكن في وسع الإمبراطور ان يوافق على ذلك ، فأدى رفضه الى زحف الغوط الغربيين على روما وحاصروها بين (408–410م) فسقطت روما بيد الغوط الغربيين عام (410م)، وهذا السقوط هو الذي ولد ارتداداً في صفوف المسيحيين مما دفع القديس أوغسطين الى تأليف كتابه **مدينة الله** The City of God . كان هذا السقوط لحاضرة الإمبراطورية الرومانية قد أشر أيضا مدى ضعف الإمبراطورية أمام الوافدين الجدد ، فعده لفيف من المؤرخين أيضا مؤشرا لعصر جديد يختلف عن سابقه ، فرأوا في عام 410 بداية للعصور الوسطى ونهاية للتاريخ القديم.

لم يكن الاريك يريد الاستيلاء على روما ، لهذا غادرها الى الجهات الغربية حيث توفي هناك وتولى السلطة مكانه ، **اتولف** ، الذي ابرم اتفاقاً مع هونوريوس تضمن انسحاب القبائل من ايطاليا والسكن في بلاد الغال ،ومن شروط هذا الاتفاق زواج اتولف من اخت الإمبراطور هونوريوس واسمها **كالابلاسيديا**. ظل الغوط الغربيون في بلاد الغال الى ان دفعتهم قبائل جرمانية أخرى الى اسبانيا، فظلوا هناك حتى فتح العرب المسلمين **شبه الجزيرة الإيبيرية** عام (711م).

الوندال Vandals :

كان الوندال يسكنون في مناطق البحر الأسود ثم اندفعوا أمام قبائل الغوط الغربيين من جهات الراين الجنوبية وتوجهوا الى اسبانيا في بداية القرن الخامس، ثم غادروا اسبانيا بعد عبورهم البحر المتوسط في سنة (429م) بقيادة زعيمهم **جزريك Gaiseric** ، وتمكنوا في سنة (439م) من الاستيلاء على قرطاجة وهناك شكلوا دولة استمرت حتى سنة (534م) ، اما الأسباب التي دفعتهم الى العبور من اسبانيا الى الشمال الإفريقي فيمكن أجمالها بما يأتي :

1- الضغط الحاصل عليهم من قبائل الغوط الغربيين.
2- التنافس بين زعماء الرومان في جهات قرطاجة واستعانة احد الأطراف بهم.
3- الاضطهاد الحاصل ضد الفرقة الرومانية في الشمال الإفريقي واستعانة هذه الفرقة بهم.

أستولى الوندال على البلاد الممتدة من طنجة حتى طرابلس ، كما سقطت قرطاجة ، أهم مدينة في الغرب بعد روما .اخذ الوندال يشنون هجمات على ايطاليا من الشمال الإفريقي وقد هاجموا روما سنة (455م) و تمكنوا من احتلالها، الا أنهم انسحبوا منها نتيجة جهود أحد البابوات وهو **ليو الكبير** Leo The Great . استمر حكم الوندال في الشمال الإفريقي حتى سنة (534م) عندما تمكنت الإمبراطورية البيزنطية في عهد جستنيان من القضاء عليهم، إذ أرسل جستنيان قائده بلزاريوس الذي إستطاع القضاء على دولة الوندال بعد أن إستمرت خمسا وتسعين سنة منذ إستيلائهم على قرطاجة سنة 439 م .

الانكليز والسكسون والجوت Angles, Saxons and Jutes :

كانت هذه القبائل تسكن المناطق الشمالية الغربية من المانيا ثم اندفعت الى الجزر البريطانية في أوائل القرن الخامس الميلادي على اثر إنسحاب الحامية الرومانية من بريطانيا سنة (408م) ومحاولة السلطات الرومانية في جنوب ايطاليا سحب جيشها وتقليص حدودها وتركيز القوى للسيطرة على روما، في الوقت الذي كان فيه الغوط الغربيون مهددون بالزحف على روما. انتهزت هذه القبائل الثلاثة هذا الفراغ وأخذت تهاجر الى الجزر البريطانية و تشكلت في هذه الجزر سبع ممالك في القرن الثامن الميلادي يشار لها في التاريخ الانكليزي **بالحكم السباعي.**

الفرنجة Franks :

كانت هذه القبائل تسكن في الجهات الشمالية الغربية من نهر الراين . بدأت تعبر النهر الى **بلاد الغال** في أواخر القرن الخامس الميلادي وتقسم الفرنجة الى مجموعتين :

المجموعة الأولى : الفرنجة الساليون Salian Franks نسبة الى كوكب سالي.

المجموعة الثانية : الفرنجة الساحليون Repurian Franks ، وكانت هاتين المجموعتين في تطاحن مستمر فيما بينهما حتى تمكن الفرنجة الساليون من الانتصار والسيطرة على الحكم ، وكان ذلك في زمن أول ملوكهم وهو **كلوفس** Clovis(481 –511).

المحاضرة الخامسة: الغوط الشرقيون Ostrogoths :

كان الغوط الشرقيون خاضعون لقبائل الهون بقيادة زعيمهم اتيلا بين سنتي (444 الى 452م) ، وقد كونوا إمبراطورية في البلقان الغربية والشرقية ، الا ان انهيار **إمبراطورية اتيلا** سنة (452م) جعل قبائل الغوط الشرقيين يتحررون من سيطرة الهون . وفي سنة (489م) ، حدث اتفاق بين زعيم هذه القبائل واسمه **ثيودرك** والإمبراطور الروماني في القسطنطينية واسمه **زينو** وفحوى هذا الاتفاق ان يقوم ثيودرك مع قواته بالزحف على ايطاليا وان يكون نائباً عن الإمبراطور في الجهات الايطالية .كانت هناك حروب مستمرة بين ادوكر، زعيم الغوط الغربيين الذي استطاع اسقاط روما سنة (476م) وبين ثيوردك ، وقد قتل ادوكر في هذه الحروب.استمرت الحروب بين (489 – 493م) انتصر فيها الغوط الشرقيون على الغوط الغربيين وكونوا لهم دولة هي دولة الغوط الشرقيين التي حكم فيها ثيودرك.

اللمبارد Lombards :

سكن اللمبارد في الأقسام الجنوبية من المانيا وشقوا طريقهم الى ايطاليا سنة (568م) بقيادة زعيمهم البيون وقد كونوا دولة في شمال ووسط ايطاليا استمرت حتى سنة (774م) حيث قضى عليها الفرنجة في عهد **شارلمان** ، وقد كان اللمبارد على

المذهب الاريوسي ثم تحولوا الى الكاثوليكية سنة (602م) ، الا ان ذلك لم يمنع البابوية من الاتفاق مع **ببن الثالث** وابنهُ **شارلمان** للقضاء على مملكة اللمبارد.

البروگنديون Brugandians :

تعرض البروگنديين ، كبقية القبائل الجرمانية ، الى ضغط الهون ، وكانوا أول من أفاد من تفكك إمبراطورية الهون . ظهروا لاول مرة على مسرح الأحداث الأوربية في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي ، عندما تحركت جموعهم عند الجزء الأوسط من حوض الراين سنة 277 م. وقد إستخدمتهم الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي في جيوشها ، حالهم حال بقية القبائل الجرمانية . وعلى الرغم من أن البروگنديين كانوا أكثر القبائل الجرمانية مسالمة ، الا أنهم إضطروا لإستخدام العنف لشق طريقهم الى بلاد الغال عبر الراين. وقد سمح لهم الرومان تحت ضغط الهون الاستقرار داخل حدود الإمبراطورية، ثم شاركوا الرومان في صد هجوم الهون في معركة شالون سنة 451 م ، فاستغلوا ذلك وتوغلوا في عام 468 م في جميع الجهات الواقعة بين جبال الألب والرون ، وحاولوا الوصول الى شواطىء البحر المتوسط ولم يمنعهم من ذلك سوى غزو الغوط الغربيين لاقليم بروفانس .

الهون Huns :

وهم قبائل آسيوية كانواقد إجتاحوا إقليم الدانوب الأدنى بعد أن تغلغل الغوط الغربيون داخل حدود الإمبراطورية سنة 375 م اندفعوا من اسيا الوسطى الى البحر الأسود وظلوا مقيمين هناك حتى عام 425 م عندما نفذوا الى تراقيا وأخذوا يهددون القسطنطينية نفسها .واتجهوا من هناك الى اقاليم الإمبراطورية الرومانية حيث دفعوا أمامهم القبائل الجرمانية الأخرى ، وعلى الرغم من ان الإمبراطور الغربي فالنتين الثالث قد وجه لهم حملة بقيادة اثيوس الذي حقق انتصاراً على اتيلا في معركة **شالون** سنة (451م) . وتعد هذه المعركة من المعارك الفاصلة في التاريخ ، إذ أنها أنقذت غرب أوربا من وحشية الهون. الا ان قوة الهون لم تنته ، ففي السنة التالية (452م) جهز اتيلا جيشاً واتجه الى ايطاليا وحاصرها ونتيجة لجهود البابا **ليو الكبير** انسحب اتيلا عن روما . يشير بعض المؤرخين الى ان الأموال الضخمة التي قدمت الى اتيلا هي التي دفعته للإنسحاب ، ويرى آخرون إن الأمراض التي تفشت في

جيش أتيلا هي السبب للإنسحاب ، إذ توفي اتيلا في سنة (453م) وإنهارت إمبراطوريته بعد وفاته، بعد تقسيم أبناؤه إمبراطوريته بينهم. الا ان الشعوب التي كانت خاضعة للهون إنتهزت الفرصة وانقضت على بقايا إمبراطوريته في معركة نديو Nedeo ، وبذلك إنهارت الامبراطورية التي أسسها أتيلا .

مملكة الغوط الشرقيون :

يعد **ثيودرك** مؤسس دولة الغوط الشرقيين ، وقد اتخذ من مدينة **رافينا** في شمال شرق ايطاليا عاصمة له . أمضى ثيودرك ردحاً من شبابه في القسطنطينية، حيث كان رهينة في البلاط الإمبراطوري ، تأثر خلالها بالحضارة الرومانية . لم يتعلم القراءة والكتابة ونشأ **اريوسي المذهب** ثم أسندت أليه في القسطنطينية مهام عليا في الجيش وحصل على رتبة **جنرال** وأصبح عضواً في مجلس الشيوخ. نشأت بينه وبين الإمبراطور زينو علاقات ودية تمخضت عن الاتفاق المشار إليه سلفاً الذي أدى الى إسقاط الغوط الغربيين في ايطاليا.

حكم ثيودرك بين (493–526م) ، وكان من أكثر زعماء الجرمان تسامحاً وعدالة ، وهذا ما يلحظ من حكمه هناك حتى سنة (524م). فبالرغم من كونه اريوسي المذهب ، فقد منح امتيازات كثيرة لزعماء الكاثوليك وتتوضح عدالته من خلال ما يأتي :-

1- المحاكم القضائية .

2- توزيع الأراضي .

3- موقفه من زعماء الرعايا الرومان في ايطاليا.

ففي ما يخص النقطة الأولى ، اسس ثلاثة أنواع من المحاكم ، المحاكم الخاصة بالغوط والمحاكم الخاصة بالرومان وهم سكان ايطاليا الأصليين والمحاكم المختلطة وهي الخاصة في القضايا المشتركة بين الغوط والرومان.

وفيما يخص النقطة الثانية ، وزع على أتباعه ثلث المساحات الايطالية الصالحة للزراعة دون ان يجبر الايطاليين على التنازل عن ممتلكاتهم الزراعية.

وفيما يخص النقطة الثالثة، اعتمد على الرومان مثل بوثيوس وكاسيودوروس ، اذ اشتهر الأول بقابلياته الأدبية والفلسفية ،إذ ترجم عن اليونانية كتاب **المنطق**

لأرسطو و**الرياضيات لإقليدس** و **الفلك لبطليموس** ، كما انه ألف كتابا عندما كان سجيناً عنوانه (**عزاء الفلسفة** Consolation of Philosophy).

اما بالنسبة الى كاسيودوروس فقد كلفه ثيودرك بكتابة تاريخ الغوط الشرقيين . تغيرت سياسة ثيودرك اتجاه الرومان في أواخر أيامه وأصبحت سياسته سلبية ويمكن ان نعزي ذلك الى :-

1- الفوارق اللغوية والعنصرية والدينية بين الغوط والرومان.

2- تآمر زعماء روما والتابعين لها في ايطاليا مع أباطرة البيزنطيين ضد حكم ثيودرك.

3- اثار تسامح ثيودرك مع اليهود سخط الجهات الدينية الرومانية في ايطاليا، لهذا اتبع ثيودرك سياسة الشدة تجاه الرومان وقد أمر بايداع بوثيوس السجن ثم أمر بإعدامه سنة 524م، ثم اعتزل كاسيودوروس الحياة ودخل سلك الرهبنة.

تدهورت الأوضاع في دولة الغوط الشرقيين في ايطاليا بعد وفاة ثيودرك سنة 526 م ويمكن ان نعزو أهم أسباب هذا التدهور الى ما يأتي :-

1- التنافس حول العرش ، اذ لم يترك ثيودرك وريثاً مباشراً من صلبه، لهذا عهد بالحكم الى حفيده **اثالاريك** وقد أصبحت أمه وصية عليه.

2- تحريضات في كنيسة روما للإمبراطور **جستنيان الأول** ضد الغوط الشرقيين لإعتبارات مذهبية.

3- محاولة الامبراطور جستنيان الأول أعادة بناء الإمبراطورية الرومانية في الأجزاء الشرقية.

هكذا نشبت الحرب بين البيزنطيين والغوط الشرقيين بعد ان استعانت الوصية على اثالاريك بالإمبراطور جستنيان ضد خصومها في الداخل . إستمرت الحرب بين (535-552م) ، تمكن البيزنطيون في (552م) من القضاء على مملكة الغوط الشرقيين ونقل ضحاياهم الى آسيا الصغرى.

يتضح مما سبق مدى إتساع قوة الجرمان خلال القرنيين الرابع والخامس الميلاديين ، مما أدى في النهاية الى إسقاط الامبراطورية الرومانية في الأجزاء

الغربية في أواخر القرن الخامس الميلادي . وقد أدت كل هذه الأحداث الى حدوث تطورات مهمة تفاعلت فيها عدة عوامل يأتي التغلغل الجرماني وإنتشار الديانة المسيحية في مقدمتها . ونتج عن هذا التفاعل بين **المسيحية** و**التغلغل الجرماني** تطورات إقتصادية وإجتماعية مهمة تغلفت بنظام جديد هو **النظام الاقطاعي** ، الذي أصبح سمة أساسية من سمات التاريخ الاوربي في العصور الوسطى. فما هو تأثير المسيحية في أوربا في العصور الوسطى ؟ هذا هو محور الفصل الثالث من هذه المحاضرات .

المحاضرة السادسة: المسيحية Christianity

تعد الديانة المسيحية أحدى السمات المهمة لتاريخ أوربا في العصور الوسطى ، وعنصرا مؤثرا في هذا التاريخ ، إذ كان الطابع الديني طاغيا على المجتمع الأوربي طيلة العصور الوسطى. ظهرت الديانة المسيحية لمواجهة متطلبات المجتمع لاسيما بعد الفراغ الروحي والانغماس في الحياة المادية بعد ان ابتعد اليهود عن الكثير من قيم اليهودية وفقاً لما بشر به النبي موسى (عليه السلام). نشأت المسيحية في الأراضي المقدسة في فلسطين في منطقة الناصرة و تولى الرسالة بعد المسيح اثنان من الحواريين Apostles او تلاميذ السيد المسيح او الرسل هما : القديس بطرس Saint Peter ، والقديس بولص Saint Paul،بشر الأول في الجهات الغربية من الإمبراطورية وجعل مقره في روما، اما الثاني فبشر في جهات أنطاكية وآسيا الصغرى (تركيا الحالية) . لقي بطرس مصرعه سنة (64م) على اثر الاضطهادات التي شنها الإمبراطور نيرون ضد المسيحية والمسيحيين ثم لقي بولص مصرعه على يد الإمبراطور ذاته . تعرضت المسيحية الى سلسلة من الاضطهادات وكان آخرها في عهد الإمبراطور دقلديانوس.

أسباب إضطهاد المسيحيين :

يمكن ان نوجز أسباب إضطهاد المسيحيين الأوائل بما يأتي :-

1- كانت مواقف المسيحية سلبية ضد القيم الارستقراطية الرومانية .

2- لا يدين المسيحيون بالولاء للإمبراطور الروماني لأنه وثني.

3- كانت مواقفها سلبية إتجاه الجيش الروماني ، فهي لا تؤمن بالعنف وإنما تدعوا الى السلم وهي ضد الحرب وإراقة الدماء وقد اضعف ذلك الجهاز العسكري الروماني .

4- ترفض المسيحية الإنتاج الوفير و تدعو الى الكفاف وهذا ما أدى الى انهيار الحياة الاقتصادية.

5- كان للمسيحيين الأوائل تنظيماتهم السرية مما افزع السلطات الرومانية فحاولت ان تقضي على هذه التنظيمات قبل ان يصبح لها قوة عسكرية.

ووفقا لهذه الأسباب شن الأباطرة الرومان ، منذ عهد اغسطس (اوكتاثيوس) (31ق.م الى 14م) وحتى عهد دقلديانوس (284-305م) سلسلة من الاضطهادات ضد المسيحيين. الا ان هذه الاضطهادات لم تمنع من انتشار الديانة المسيحية .

أسباب إنتشار الديانة المسيحية

يمكن ان نرجع أهم الأسباب لانتشار الديانة المسيحية الى ما يأتي :-

1- إنها دعوة بسيطة اقرب الى عقلية الجماهير ، إذ كانت هناك المفاهيم الصوفية وهي معقدة ولا يستطيع فهمها الا المثقفين وأول انتشار للمسيحية كان في المدن ثم انتشرت الى الريف.

2- إنتشرت المسيحية باللغة اليونانية وكانت هذه اللغة هي لغة التجارة والتعامل بين الناس ، لاسيما في الأقسام الشرقية من الإمبراطورية مما ساعد على انتشارها وكان التبشير للمسيحية في البداية باللغة الآرامية ثم تحول الى اليونانية.

3- حماس المسيحيين وغيرتهم وإخلاصهم وتفانيهم . هذه الأسباب كانت من العوامل التي جلبت لهم الاعوان كما ان الاضطهادات ادت الى تعاطف الجماهير مع المسيحيين.

4- كثرة المعجزات التي جسدت وكأنها واقع وكان الكثير من البسطاء يؤمنون بهذه المعجزات كشفاء المرضى والمجذومين وما الى ذلك من معجزات السيد المسيح (عليه السلام).

تعرض المسيحيون الى اضطهادات متواصلة منذ عهد الإمبراطور اوغسطس الى عهد دقلديانوس ولاسيما خلال عهد نيرون الذي عرض المسيحيين الى اضطهادات كبيرة وقام بإحراق روما ، الا ان المسيحيين قد شعروا بفرقٍ كبير في عهد الأمبراطورقسطنطين الكبير ، ففي عام (311م) اصدر قسطنطين الكبير **مرسوم التسامح** Edict of Toleration ،الذي سمح للمسيحيين بممارسة طقوسهم الدينية ،وفي سنة (312م) كان قسطنطين في حرب مع ماكنتوس وقد نذر نذراً انه اذا انتصر على ماكنتوس فانه سيعترف بالمسيحية . وقد رأى كما تشير أحدى الروايات صليباً في السماء وتحته العبارة "**ستنصر بأذن الله**" وقد تحقق له النصر فعلاً فاعترف بالمسيحية في سنة (313م) **بموجب مرسوم ميلان** Edict of Milan الذي عد المسيحية على قدم المساواة مع الأديان الأخرى . وتشير رواية الى ان قسطنطين الكبير قد رضع حب المسيحية من والدته التي كانت تدين بالديانة المسيحية .

هناك مسالة إشكالية مهمة في عهد قسطنطين الكبير ، إذ ادعت البابوية ان قسطنطين عند توليه الحكم عام (306م) إصدر ما يسمى **(هبة قسطنطين)** Donation of Constantine التي تنازل بموجبها عن الأجزاء الغربية من الإمبراطورية الرومانية بما في ذلك إيطاليا للبابوية ، وهذا يعني أن للبابوية حق السيادة على هذه الأجزاء . سبب ذلك مشكلات كبيرة بين السلطتين الدينية والدينوية في أوربا طيلة العصور الوسطى ، الا ان احد المؤرخين في عصر النهضة واسمه **(لورينزو فالا)** "Lorenzo Valla (1406 – 1457 م)[7]قد إكتشف ان **هبة قسطنطين مزورة** في مقالة نشرها في عام 1440 م ، إلا أن المقالة لم تنتشر رسميا الا في عام 1517 م . قام لورينزو فالا بدراسة الوثيقة مستفيداً من الخبرة

([7]) أحد الانسانيين في عصر النهضة .عائلته من بياسانزا ،كان والده لوكا ديلا فالا محاميا . بدا تعليمه دينيا ، وكان يرغب بالحصول على منصب كنسي الا انه فشل في ذلك .تنقل في عدة جامعات إيطالية محاضرا. في عام 1433 ، أصبح سكرتيرا خاصا فيما يخص اللغة اللاتينية للملك الفونسو الخامس ، ملك أرگون ، الذي دافع عنه ضد الهجمات التي تعرض لها نتيجة لانتقاداته للسلطات الكنسية .

المتراكمة التي حصل عليها من عمله في تحقيق مخطوطات البابوية وإطلاعه على الكثير من الوثائق الكنسية، الى جانب ذلك افاد من مكتسبات عصر النهضة Renaissance،فقام بدراسة وثيقة **هبة قسطنطين** دراسة عملية دقيقة فاكتشف ما يأتي :-

1- ان الورق المستخدم في الوثيقة يعود الى القرن الثامن وليس الى القرن الرابع الميلادي.
2- الحبر المستخدم في الوثيقة يعود ايضاً الى القرن الثامن الميلادي وليس الى القرن الرابع الميلادي.
3- أسلوب الكتابة يعود ايضاً الى القرن الثامن وليس الى عهد قسطنطين الكبير.

اكتشف **لورينزو فالا** ، وفقا لذلك ، ان **هبة قسطنطين** هي وثيقة مزورة زورتها البابوية في القرن الثامن الميلادي ، أي في عصر الدولة الكارولنجية لاجبار **بيبن الثالث** (751-768م) على إعطاء الممتلكات التي إستولى عليها من اللمبارد عام (756م) الى البابوية تحت اسم **هبة بيبن** Donation of Pepin ، وبذلك فقد كان اكتشاف **لورينزو فالا** قد اسهم في تقويض الكثير من الأسس التي استندت عليها البابوية . نشر فالا إكتشافه في مقالة باللاتينية بعنوان **زيف هبة قسطنطين** De falso credita et ementita Constantini Donatione declamatio . وكان يطلق عليها في كتاباته **هبة قسطنطين** "donatio Constantin" . أثرت النتائج التي توصل اليها فالا على سمعة الكنيسة الكاثوليكية ، وحاول منافسيها من الملوك والكنيسة البروتستانتية إستغلال هذه النتائج للهجوم على الكنيسة الكاثوليكية . وعلى أية حال، فان قضية اعتناق قسطنطين للمسيحية او عدم اعتناقه لها مازالت من المشاكل التي تواجه مؤرخ العصور الوسطى.

وصف قسطنطين بالانتهازي لانه تارة وثني وأخرى مسيحي . ومهما يكن، فان قسطنطين قد ادرك الثقل الكبير الذي أصبح يشكله المسيحيون في إمبراطوريته. مع ذلك ، فقد تعرض المسيحيون الى فترات من الاضطهاد بعد عهد قسطنطين

الكبير، فهناك عهد **جوليان المرتد** (361–364م)، وكان من أتباع عبادة الشمس ،اراد ان يطمس معالم المسيحية ويشجع الوثنية لاضعاف شوكة المسيحيين ولكن سياسته قد فشلت وذلك لانه قتل في حربه مع الفرس . وفي عهد **ثيودورسيوس الأول** (378 – 395) تم الاعتراف بالمسيحية ديانة للإمبراطورية الرومانية في مؤتمر القسطنطينية الثاني 381م، ثم أصبحت ديانة رسمية في عام 392 م . حققت المسيحية انتصاراً كبيراً وانتقلت من مرحلة الاضطهاد والعمل السري الى مرحلة الانتشار الواسع بعد ان تم الاعتراف بها وأصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية.

المحاضرة السابعة: الهرطقة Heresy :

الهرطقة هي الخروج عن المعتقد الاساسي للديانة المسيحية وفقاً للمذهب الكاثوليكي. و**الهراطقة** Heretics هم الخارجون عن المذهب الكاثوليكي وقد أطلقت عليهم الكنيسة اسم **الهراطقة** او **المارقين دينياً** في حين ترجمت الهرطقة الى اللغة العربية ايضاً بأسم **المروق الديني** أو **الزندقة** . ظهرت العديد من الحركات الدينية المناوئة للكنيسة الكاثوليكية مثل الدوناتية، المانوية ، الاريوسية ، النسطورية، المونوفستية، واهم ثلاث حركات خارجة عن الكاثوليكية هي :-

1- الاريوسية.

2- النسطورية.

3- المونوفستية.

الاريوسية Arianism :

نسبة الى **اريوس** Arius (256 – 336 م) أحد رهبان الإسكندرية. وموضوع الخلاف مع الكنيسة الكاثوليكية حول **السيد المسيح** (عليه السلام) وطبيعته ، وملخص رأيه ان السيد المسيح لم يكن من جوهر الله و لم يشاركه تعالى في أزليته ، ولا يمكن ان يسمو الى الله قدراً ومنزلة بخلاف الرأي السائد آنذاك وهو ان المسيح من طبيعة الله ويشاركه في الأزلية . انتشر هذا المذهب في جهات البلقان وفي ما وراء الدانوب بين قبائل الغوط بقسميها الغربي والشرقي، لهذا عندما

دخلت هذه القبائل الى روما كانت على **المذهب الاريوسي** مما ولد مشاكل مع الإمبراطورية الرومانية.

حاول الإمبراطور قسطنطين الكبير ان يجد حلاً لهذا الانشقاق ، فعقد مجمعاً في مدينة **نيقية** Necea في آسيا الصغرى في سنة (325م) لايجاد حل وسط بين المذاهب المسيحية المختلفة ، حاول قسطنطين في هذا المؤتمر ان يمسك العصى من الوسط الا انه لم يستطع التوصل الى حل لهذا الخلاف لذلك عد الاريوسيون مارقين دينياً وتمت مطاردتهم.

النسطورية :

نسبة الى **نسطوريوس** الذي تولى بطريركية القسطنطينية في أوائل القرن الخامس الميلادي . ينتمي في أرائه الى مدينة انطاكية الا انه تطرف في بعض اجتهاداته الدينية حول طبيعة السيد المسيح (عليه السلام) ، إذ أشار الى انه توجد طبيعتان في السيد المسيح احدهما **بشرية** والاخرى **إلهية** إلا أن الطبيعة الطاغية هي **البشرية لا الإلهية** وقد عد مريم العذراء اماً كسائر النساء بخلاف الرأي السائد.

كانت البدعة أو الهرطقة النسطورية ، من وجهة نظر الكنيسة ،من اهم الأسباب التي دفعت بالسلطات الرومانية الى ان تعقد مؤتمراً دينياً في مدينة افيسوس عام (431م) في آسيا الصغرى، ولما لم يتوصل المجتمعون الى نتيجة حرمت الآراء النسطورية وشنت سلسلة من الإضطهادات ضدهم في مصر وسوريا وإضطر قسم منهم الى الهجرة الى الجهات الإيرانية حيث قاموا بترجمة كتب الفلسفة والكتب العلمية اليونانية الى اللغة الفارسية وترجمت منها الى العربية في العصر العباسي.

المونوفستية Monophists:

ويطلق على **المونوفستيون** أيضا أيضاً **أصحاب الطبيعة الواحدة** لإعتقادهم بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح (عليه السلام). و**المونوفستية** هي عبارة عن رد فعل للآراء النسطورية ، ظهرت في الإسكندرية واصبحت الديانة الرسمية لأبناء الكنيسة المصرية وكذلك لكنيسة الحبشة.

وملخص رأيهم انه **توجد في السيد المسيح طبيعتان إلهية وبشرية والطبيعية الغالبة هي الطبيعة الإلهية وليست البشرية.** أدت هذه الفرقة الى إحداث ضجة

وإضطراب للكنيسة الكاثوليكية مما دفع السلطات الى عقد مجمع كنسي في مدينة **خلقدونيا** في آسيا الصغرى سنة (451م) ، اتفقت فيه كنائس أنطاكية والقسطنطينية وروما على عد **المونوفستية** من الفرق الخارجة عن الدين، الى جانب عدم الاعتراف بكنيسة الإسكندرية في قضايا القدم الديني أو من ناحية أولوية الكنائس ، إذ عدت كنيسة روما هي الأولى وتليها القسطنطينية.

كان القرار الذي اتخذ ضد كنيسة الإسكندرية من الأسباب الهامة التي دفعت هذه الكنيسة للإنفصال عن بقية الكنائس الأخرى وقد غيرت لغة العبادة من اليونانية الى **القبطية Coptic church** فتحولت بذلك الى كنيسة وطنية أصبحت تعرف **بالكنيسة القبطية** .

البابوية Papacy :

أدت البابوية دوراً كبيراً في تاريخ العالم المسيحي عموماً وفي تاريخ أوربا الغربية على وجه الخصوص و**البابا** Pope هو رئيس أساقفة روما وهو لا يختلف في الأصل عن أي رئيس أساقفة آخر في الأسقفيات الرئيسة في العالم المسيحي وهي **أسقفيات: الإسكندرية والقدس وروما والقسطنطينية**، الا ان هناك أسبابا أسهمت في زيادة مكانة رئيس أساقفة روما وجعله يدعي السيادة الروحية في العالم المسيحي . ويمكن ان نقسم هذه العوامل الى عوامل دنيوية ودينية.

العوامل الدنيوية :

1- شهرة روما التاريخية وسمعتها خاصة بين القبائل الجرمانية مما ساعد رئيس الأساقفة ان يسمو بمركزه عن بقية رؤساء الأساقفة في المدن الأخرى.
2- العقلية البدائية السائدة في الغرب التي كانت مستعدة لتقبل التعاليم الدينية والتمسك بها اكثر من تمسك القسم الشرقي.
3- ان روما تركت من الناحية الادارية الى رجال الدين لاسيما بعد الفراغ السياسي الذي تلا سقوط روما سنة (476م) مما أدى الى تقوية مركز أسقفية روما.
4- تولي رجال الدين في روما مسؤولية الدفاع عن السكان وروما في وقت الأزمات ما زاد من مكانة رجال الدين في أعين الناس.

العوامل الدينية :

1- كانت كنيسة روما تنسب الى القديسين **بطرس وبولص** حيث يذكر الإنجيل قول المسيح لبطرس " **على هذه الصخرة ابني كنيستي**".

2- تمسك كنيسة روما بقرارات المؤتمرات العالمية الأولى مما أدى الى التمسك بوحدة الصف بين رجال الدين في روما، ولم تمزقهم التفرقة وساعدتهم في الالتفاف حول رئيس أساقفة روما.

3- تحولت روما الى مركزللإشعاع الديني في الجهات الغربية.

4- ترجمة الإنجيل من اليونانية الى اللاتينية في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي.

5- اعتماد اساقفة روما على نظرية التوارث الحواري Apostlic succession التي تنص على "**ان الزعامة الروحية في العالم المسيحي قد انتقلت من الله سبحانه وتعالى الى السيد المسيح (عليه السلام) ومنه الى الحواريين ثم الى البابا**".وهذا يعني ان البابا يستمد سلطته من الله.

God ⇨ Christ ⇨ Apostles ⇨ Pope

6- وجود شخصيات دينية مرموقة وقد شغل قسم منها الزعامة الروحية في روما.

المحاضرة الثامنة: المسيحية في القرنين الرابع والخامس الميلاديين :

أدى عددٌ من آباء الكنيسة دورٌ كبير في ترسيخ أسس كنيسة روما وتوليها الزعامة الروحية في العالم المسيحي، وفي مقدمة هؤلاء القديس **امبروس** Ambrose (340-398م) .

أدى **أمبروس** دوراً كبيراً في نشر المسيحية وفي ظهور البابوية ومن أشهر الحوادث المتعلقة بهذه الفترة هو ما حدث بينه وبين الإمبراطور **ثيودوسيوس الأول** وملخص هذا الحادث انه **حدثت ثورة في الدردنيل وقد أسرف جنود الإمبراطورية في قتل الثوار على الرغم من التعليمات الدينية التي أصدرها امبروس بضرورة التخفيف من القتل.** أثارت هذه الإعمال احتجاج البابا ولما قام الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بزيارة ايطاليا حاول ان يعتذر عما حدث إلا أن إمبروس رفض

مقابلته وكان الإمبراطور يحاول الدخول للإعتذار الا ان امبروس لم يوافق على مقابلة الإمبراطور وبعد توسلات مستمرة وافق امبروس أخيرا على اعتذار الإمبراطور. يؤشر ذلك مدى الزيادة في مكانة أسقفية روما ومحاولتها إخضاع السلطة الدنيوية ، وقد أسهمت مثل هذه الآحداث التي كانت نتائج مهمة لتنامي دور الكنيسة وضعف سلطة الإمبراطورية مما أدى في النهاية الى تحول أسقفية روما الى البابوية .

الشخصية الدينية الثانية

التي أدت دوراً مهماً في رفع مكانة أسقفية روما هي شخصية **القديس جيروم** Gerome الذي قام بترجمة الإنجيل الى اللغة اللاتينية.

الشخصية الدينية الثالثة

هي شخصية **القديس أوغسطين Saint Augustine** (354-430م) . ولد في الجزائر من أصل روماني وكان ابوه موظفاً حكومياً ويمتلك بعض الأراضي الزراعية. كان أوغسطين وثنياً ثم إعتنق المسيحية و درس في قرطاجة ،سافر بعدها الى ايطاليا حيث التقى بالقديس **أمبروس** الذي هداه الى المعتقد الأصلي ، وعند رجوعه الى الشمال الإفريقي أسس **الدير الاوغسطيني.**

يعد أوغسطين من الفلاسفة الأوائل الذين رسخوا أسس الكاثوليكية وترك لنا كتابين هما : **الإعترافات**The Confessions و**مدينة الله** The City of God. يتضمن كتاب **الإعترافات** حياته ومذكراته وردوده على الفرق المناوئة ولاسيما **الدوناتية والمانوية والبلاجيوسية** ، و سميت الأخيرة بهذا الاسم نسبة الى **بلاجيوس** ، وهو احد رجال الدين الانكليز، **توصل الى إجتهادات مخالفة للعقيدة الأصلية وأنكر الخطيئة الأولى ثم نادى بحرية الإرادة وان الله يحاسب الإنسان لأنه أطلق له حرية الإرادة ولا يجوز محاسبة الإنسان اذا كان مسلوب الإرادة ثم اخذ يطعن بالزعامة الروحية لرئيس أساقفة روما**.برر القديس أوغسطين وجود الخطيئة الأولى في كتابه الاعترافات ودافع عن زعامة روما الروحية وفسر الإرادة حسب التعاليم الأصلية.

اما كتابه **مدينة الله** الذي أصدره بعد سقوط روما سنة (410م) فقد تألف من سلسلة من المقالات الموجهة الى الحاكم الروماني في الشمال الإفريقي **مارسيلينيوس** ، اذ استمع الى الإعتراضات الواردة عن المسيحية التي تؤكد أن المسيحية هي السبب في هذا الدمار وإن السيد المسيحي لا يصلح ان يكون مواطناً صالحاً وقد تطرف أوغسطين في إجابته الى مسائل خطيرة أهمها موضوع الحرب والسلام ، وتناول طبيعة السلطة والعلاقة بين السلطتين الروحانية والزمنية وعد السلطة اداة عقابية أرادها الله للبشر.

الشخصية الرابعة

هي شخصية **ليو الكبير** Leo the Great الذي تولى أسقفية روما (440-461م) وتحمل مسؤولية الدفاع عن روما مرتين: **الأولى** حينما حاصرها الملك الهوني **أتيلا** سنة (452م) وتمكن ليو بجهوده في أقناع اتيلا بالتراجع عن روما وبذلك انقذ المدينة من الدمار وهذه العملية زادت من مركز الزعامة الروحية لروما بين الايطاليين.أما **المرة الثانية** فهي عندما حاصر **الوندال** روما واحتلوها سنة (455م) وقد تمكن ليو بجهوده من التقليل من وحشية الوندال أثناء الإحتلال وتولى ليو الكبير مسؤولية الدفاع عن روما مما زاد من مركز رجال الدين قوة في الوقت الذي كانت فيه السلطات عاجزة عن الدفاع عن روما.

الشخصية الخامسة

هي شخصية **جيلاسيوس الأول** الذي تولى رئاسة أسقفية روما سنة (492-496م)، وأهميته تمكن في وضعه لنظرية لتحكم العلاقة بين الكنيسة و الحكام، ويطلق على هذه النظرية اسم **نظرية السيفين** Theory of Two Swor.وموجز هذه النظرية **ان هناك قوتان تحكمان المجتمع المسيحي هما الدنيوية والدينية، تتمثل الأولى في الإمبراطور والثانية في كنيسة روما (البابا)، وان هاتين السلطتين مكملتان لبعضهما البعض ، وهما مظهران من مظاهر القوة الإلهية، لذلك يجب ان تعمل هاتان القوتان بإنسجام ولا مجال للتصادم بينهما**. وقد عبر جيلاسيوس عن هذه الاراء برسالة بعث بها الى الإمبراطور ثيودوسيوس الأول.

الشخصية السادسة

هي شخصية غريغوري الكبير **Gregory the Great** الذي تولى رئاسة كنيسة روما بين (590–604م)، وينحدر من أسرة ارستقراطية . درس في البداية الحقوق الا انه تركه وإتجه الى اللاهوت ثم اشتغل سكرتيراً للبابا وأرسل في مهمات سياسية الى القسطنطينية وعند حصول شاغر في أسقفية روما انتخب لإشغال هذا المنصب . قام البابا غريغوري الكبير بعدة اعمال أهمها :-

1- أعادة بناء الأجزاء المتهدمة من روما منذ هجوم الغوط الغربيون عليها سنة (410م).
2- قام بنشر المسيحية في الجزر البريطانية عام (597م) باستخدام عدد من المبشرين.
3- تحويل اللمبارد من الأريوسية الى الكثلكة سنة (602م) وكذلك حول قبائل الغوط الغربيين الى الكثلكة ايضاً.

أهم مؤلفاته هي :-

1- المراسيم الروحانية : ويقصد به تنظيم الطقوس الدينية.
2- المحاورة الثنائية : وقد بحث فيه حياة قديسين.
3- في موضوع الدين: تناول فيه حياة النبي أيوب (عليه السلام) وما تعرض له.

الرهينة والحركة الديرية:

يقصد بالرهبنة الانقطاع عن الدنيا وتقديس النفس بالعبادة ، والحركة الديرية نسبة الى دير وهو المحل المخصص لسكن الرهبان وعبادتهم. وقد مرت الحركة الديرية بثلاث مراحل هي :-

1- مرحلة العزلة والتنسك التام.
2- حياة شبه التنسك او الحياة شبه المشتركة.
3- الحياة المشتركة.

ومن أمثلة المرحلة الاولى هي حياة **القديس انطوني** المتوفي سنة (356م)،ومن أمثلة المرحلة الثانية حياة القديس **باخوميوس** المتوفى سنة (356م). كانت المرحلة الأولى تعتمد على حياة العزلة والانقطاع عن مقابلة الناس. أما المرحلة الثانية فقد نظم باخوميوس الرهبان في صوامع منفردة الا أنهم يمارسون حياة

مشتركة. اما المرحلة الثالثة فتتمثل في **سيرة القديس بازل** المتوفى سنة (379م)، ويعد هذا القديس مؤسس **الحركة الديرية** بمفهومها الحديث ، إذ حتم على الرهبان ان يعيشوا في دور خاصة يمارسون فيها الانتاج المشترك والعبادة .

انتشرت طريقة بازل في الجهات الشرقية من أوربا (الامبراطورية البيزنطية) ، مع العلم ان حياة الرهبنة وكافة مظاهر الحركة الديرية قد ظهرت في الصحراء الغربية من مصر ومنها إنتقلت الى فلسطين وآسيا الصغرى وأوربا. وأول من أدخل الظاهرة الديرية الى أوربا هو الراهب **أناستاسيوس** في النصف الثاني من القرن الرابع ، ولم تلق طريقته اقبالاً في غرب أوربا نظراً لتزمتها المتطرف، الا ان الحركة الديرية أخذت تجذب قسماً من المتدينين في إيطاليا على اثر التعديلات التي أدخلها على ذلك النظام القديس **بندكت** سنة (480م) ،إذ كانت أسس ديريته تستند على طريقة بازل التي تؤكد على العفة والفقر والطاعة، وهي الشعارات الأولى لحياة الرهبنة وقد أضاف أليها نقطة أخرى هي التنظيم.

ومن أمثلة الأديرة التي أسسها في ايطاليا **دير مونت كاسينو** في سنة (529م)، وبذلك فقد جعل بندكت الأديرة أكثر إجتماعية مما كانت عليه سابقاً، وأصبحت تؤدي خدمات للمجتمع الذي تعيش فيه كالاعتناء بالمرضى وإيواء المسافرين والمحتاجين ونسخ المخطوطات التي تحتاج الى تجديد و انتشرت في عهده الديرية النسائية حيث قامت أخته بتأسيس دير في ايطاليا ، وانتشرت منها الى الجهات الأوربية ومنذ ذلك الوقت أخذت الاديرة تتنوع في غرب أوربا متبعة **الطريقة البندكتية** على الرغم من تعدد تسمياتها.

المحاضرة التاسعة: محاولات إصلاح الإمبراطورية الرومانية في الغرب

إصلاحات دقلديانوس و قسطنطين الكبير وثيودوسيوس الأول

إصلاحات دقلديانوس ونتائجها

ولد **دقلديانوس** (284 – 305 م) في إقليم دالماشيا من أب فلاح. وفتحت له الخدمة في الجيش الروماني مجال التقدم. وأخيراً، وعلى أكتاف الجيش، إرتقى الى ذلك المنصب الرفيع منصب **الإمبراطور**. وإعتلاء دقلديانوس العرش يمثل بحد ذاته أمرين مهمين كانا يميزان وضع الإمبراطورية خلال تلك الفترة من تاريخها:

أولهما تركيب الجيش الروماني من عناصر غير رومانية و**ثانيهما** الدور الذي كان يؤديه الجيش في سياسة الإمبراطورية. وعلى أية حال، فان دقلديانوس نفسه يعد خير ممثل للعصر الذي عاش فيه.

لم يكن مثقفاً ثقافة عالية. ولم يكن ملماً بتطور الأنظمة الرومانية، ولا متبحراً بتاريخ الرومان. لكنه كان، رغم ذلك، متفهماً لعصره مدركاً مشكلات الإمبراطورية التي هيأت له الأقدار إعتلاء عرشها. وكجندي، نظر لمشاكل الإمبراطورية من زاوية عسكرية بالدرجة الأولى ، فكان هدفه حماية حدود الإمبراطورية أولاً وقبل كل شيء.

عمل دقلديانوس على تقوية مركز الإمبراطور فجرد مجلس الشيوخ من جميع ما تبقى له من سلطات. ولم يعد هذا المجلس سوى مجلس بلدي يخص العاصمة روما. وصارت السلطة مركزة بيد الإمبراطور يساعده في الحكم جهاز إداري ضخم ،وكان الإمبراطور – بمساعدة ذلك الجهاز– يشرف على كل جزء من أجزاء الإمبراطورية، وبهذا قضى دقلديانوس على النظام الذي وضعه أوغسطس الذي كانت السلطة فيه موزعة بين الإمبراطور ومجلس الشيوخ . ذهبت كل مظاهر النظام الجمهوري التي كان يتشبث بها الأباطرة قبل قلديانوس وحل محلها نظام إستبدادي واضح صريح . كان دقلديانوس مدركاً الوضع المزري الذي كان فيه المركز الإمبراطوري، لذا حاول بكل الوسائل أعادة الهيبة الى الإمبراطورية ، من ذلك انه أنشأ بلاطاً فاخراً أحاطه بكل مظاهر الفخامة والفخفخة.

رأى دقلديانوس بثاقب بصره ان الإمبراطورية أوسع من أن يحكمها رجل واحد، لذا قسم الإمبراطورية الى قسمين، وقسم كل واحد منهما الى جزئين. يحكم القسم الواحد شخص يحمل لقب **إمبراطور** أو **أوغسطس** ، يساعده شخصان يحكمان الجزئين اللذين يكونان قسمه يعرف كل واحد منهما باسم **قيصر** . وكانت الأجزاء الأربعة مقسمة بدورها الى مناطق وعدد هذه المناطق **(100) منطقة** متساوية في المساحة تقريباً. كان حكام المناطق يعينون ويعزلون من قبل الامبراطور.

وعلى الرغم من أن السلطات المحلية قد ضعفت كثيراً نتيجة لهذه الإصلاحات ، فان الإمتيازات الشخصية إستمرت ، إذ أن كبار موظفي الحكومة كانوا قد كونوا طبقة خاصة يحمل أصحابها القاباً فخمة ، ويضاف الى هؤلاء

الموظفين الكبار جماعة الشيوخ. كون كل هؤلاء طبقة متميزة، كان عدد أفرادها في إزدياد مستمر نتيجة لقيام الإمبراطور بمنح بعض الأفراد إمتيازات خاصة كالإعفاء من الضرائب والإعفاء من بعض الواجبات الحكومية الأخرى وإقطاعهم الضياع والأراضي . ومع أن الوظائف والمناصب الحكومية لم تكن وراثية، فإنها أصبحت كذلك لأن بقية الفئات والطبقات كانت في أوضاع إجتماعية غير قابلة للتبدل والتغيير.

أعاد دقلديانوس **تنظيم الجيش**، وإستمرت عملية تحصين المدن الداخلية وأصبحت فرق الحدود مقيمة، وصار أصحابها من ذوي الإمتيازات ومن كبار الملاكين ، ولجأ دقلديانوس الى إنشاء قوة جديدة متحركة يمكن نقلها بسرعة من محل الى آخر في أي جزء من أجزاء الإمبراطورية قد يتعرض الى الخطر. ولتوفير ما يقرب من (500) الف جندي ، وهو ما تحتاجه الإمبراطورية، إضطرت الحكومة الرومانية الى تشجيع **الجرمان والبربر والعرب** على الإنخراط في جيشها. والواقع إن قبائل جرمانية بجملتها سمح لها بإجتياز حدود الإمبراطورية على إعتبار انها حليفة للإمبراطورية وأنها تكون جزء من قوة دفاعها.

أراد دقلديانوس إصلاح الأوضاع الإقتصادية في الإمبراطورية، فحاول السيطرة على العملة وثبيت قيمتها وتحديد أسعار المواد الغذائية، وإيجاد نظم جديدة للضرائب والسيطرة على جميع المشاريع الإقتصادية التجارية والصناعية والزراعية. وكانت الأزمة المالية هي المشكلة الإقتصادية المباشرة التي واجهت الإمبراطورية الرومانية ، وتتلخص في زيادة مصروفات الحكومة على وارداتها، وذلك نتيجة للجهاز الإداري الضخم والجيش الروماني الكبير من جهة، وسوء نظام الضرائب من جهة أخرى. نجح دقلديانوس في تثبيت قيمة العملة، ولكن النقود الذهبية والفضية بقيت شحيحة وقليلة.

ومن إصلاحات دقلديانوس المهمة تنظيمه **أصحاب الحرف** المختلفة في **نقابات أصناف** وكان الغرض من ذلك إجبار كل نقابة على إنتاج مقدار معين من الوحدات الصناعية ، وذلك لغرض المحافظة على كمية الإنتاج الذي كان يعاني نقصاً مستمراً. كما ان تنظيم أصحاب الحرف في نقابات كان ييسر أمر جباية

الضرائب من أفرادها، فقد صارت كل نقابة ملزمة بدفع مقدار معين من المال الى الحكومة ، وهي بدورها تجمع ذلك المال من منتسبيها ، وأجبر دقلديانوس الأبناء على الإنخراط في نفس الحرف التي كان يمتهنها آباؤهم ، وكان لهذه الإجراءات أثرها في تخفيف هذه الضائقة المالية التي كانت تعاني منها الحكومة ولكنها في الوقت نفسه ألحقت أبلغ الضرر بالمشاريع الفردية. وأدت على المدى البعيد الى ركود الحياة في المجتمع الروماني.

وامتدت يد دقلديانوس الى **الريف**، ولكن قوة كبار الملاكين هنا حدت من سلطة الحكومة وحالت بينها وبين إحداث أي تغيير جذري في وضع الريف الروماني ، كما أن ضريبة الأرض كانت مصدراً أساسيا للدخل الحكومي. وكل ما فعلته الحكومة عندما تدهورت الزراعة وتناقصت الضريبة إنها منعت الفلاحين الأحرار من ترك أراضيهم، وأوكلت جمع الضريبة منهم الى كبار الملاكين. واحتفظ هؤلاء لأنفسهم بالجزء الأكبر من الضرائب التي كانوا يجبونها من الفلاحين. وبمرور الزمن أسندت الى كبار الملاكين واجبات حكومية أخرى كحفظ الأمن المحلي والقضاء . هيمن قسم من كبار الملاكين على مقاطعات واسعة جداً وتمتعوا فيها بنفوذ كبير للغاية، وصاروا بذلك حكاماً مستقلون فعلاً. وهؤلاء هم بعض أسلاف النبلاء الإقطاعيين الذين سادوا أوربا خلال عهد الإقطاع من العصور الوسطى.

من هذا العرض لإصلاحات دقلديانوس، يلاحظ انها كانت حلولاً عملية لأوضاع حرجة تتطلب حلولاً سريعة ومؤقتة. وكانت النتيجة جيدة في بعض الحالات فقد أعيد الأمن الى اغلب أجزاء الإمبراطورية، وحفظت الحدود، لمدة قرن اخر من الزمن . لكنها عموما لم تستطع أن تعيد الحياة الى إمبراطورية تسير في طريق الإنهيار ، وكانت بعض علاجاته كتسقيم افمبراطورية من الناحية النظرية قد هيات الظروف لإضعاف الجزأ الغربي منها ومن ثم سقوطه عمليا في أواخر القرن الخامس الميلادي .

الامبراطورية في عهدي قسطنطين الكبير وثيودوسيوس الأول :

إعتلى الإمبراطور **قسطنطين الكبير** العرش في مطلع القرن الرابع (306-337) وكان بحق من أعظم الأباطرة في التاريخ الروماني. فقد نجح في بسط سيطرة

الدولة على أجزاء الإمبراطورية، بعد أن قضى على منافسيه الطامعين في العرش. كما أنه دافع بنجاح عن الحدود. ويعد **الاعتراف بالمسيحية** بموجب مرسوم ميلان عام 313 م وبناء مدينة القسطنطينية التي إكتمل بناؤها في عام 330 م من أهم إنجازات هذا الإمبراطور العظيم. وبالنسبة للأمر الأول فقد إعترف قسطنطين بموجب مرسوم ميلان بالديانة المسيحية وبذلك أصبحت هذه الديانة في مستوى الديانات الأخرى السائدة في الإمبراطورية الرومانية، وبهذا قضى على مشكلة مهمة من مشاكل الإمبراطورية التي بقيت لمدة طويلة مصدراً للمتاعب وعدم الاستقرار.

اما بالنسبة الى بناء عاصمة جديدة للإمبراطورية في الشرق فقد قام الإمبراطور ببناء مدينة كبيرة محل بلدة بيزنطة القديمة على الضفة الآسيوية للبسفور عند اتصاله ببحر مرمرة وتأسيس هذه المدينة بحد ذاته يشير الى الأهمية المتزايدة للأقاليم الشرقية من الإمبراطورية وأنشئت هذه لتكون عاصمة الجزء الشرقي للإمبراطورية الى جانب **روما عاصمة الغرب.**

وبينما سارت هذه المدينة في طريق النمو والازدهار منذ تأسيسها، فان روما من جهة أخرى كانت تسير نحو التدهور والاضمحلال. ففي أواخر القرن الرابع اعتلى الإمبراطور **ثيودسيوس** (378–395) العرش في ظروف عصيبة ولدتها معركة أدرنة الشهيرة التي دمر فيها الجيش الروماني أمام **الغوط الغربيين**، وإستطاع ثيودسيوس ان يعيد شيئاً من الثقة والإستقرار. ومن أعماله المهمة قيامه بفصل الإمبراطورية الرومانية فصلاً تاماً الى إمبراطوريتين واحدة في الغرب عاصمتها روما وقد خص بها ابنه **هونوريوس**، وأخرى في الشرق عاصمتها القسطنطينية خص بها ابنه **أركاديوس** ، وبهذا يكون ثيودسيوس قد أتم ما شرع به كل من **دقلديانوس وقسطنطين. فالأول بدأ بفكرة تقسيم الإمبراطورية، ولكن تقسيمه كان صورياً فقد بقيت في الواقع إمبراطورية واحدة. والثاني انشأ فعلاً عاصمة جديدة فصارت للإمبراطورية عاصمتان. وجاء ثيودسيوس ليتخذ الخطوة الأخيرة في عملية الفصل، بتقسيمه افمبراطورية بين ولديه .**

المحاضرة العاشرة: الاقطاع

كـان للإقطـاع Feudalism تـأثير كبيـر علـى تـاريخ أوربـا فـي العصـور الوسطى . ويعد النظام الإقطاعي أحدى السمات الأساسية التي تميز تاريخ أوربا في العصور الوسطى . وهناك عدة آراء حول تعريف الإقطاع:-

1- **الإقطاع** عبارة عن تجربة فرضتها الحوادث كبديل عن الحكم المركزي.
2- **الإقطـاع** عبـارة عـن علاقـة بـين سـيد ومسـود تمـارس فيـه السـلطة نتيجـة لتعاقدات مدونة او عرفية غير مدونة.
3- **الإقطـاع** هو مرحلـة تطويريـة تمر بهـا الشـعوب من أنتـاج قـائم علـى العمل العبودي والاستغلال الى ما هو أرقى .

ومهما تعددت الآراء حول الإقطاع، فانه يستند على ثلاثة مرتكزات :

1- **التبعية** Vassalage
2- **الضيعية** Fiefdom
3- **السلطة** Authority .

1- التبعية Vassalage :

تستند على علاقة شخصية بين تابع ومتبوع أوسيد ومسود ، يتعهد فيها الاول بحمايـة الثـاني ومعيشـته مقابـل ان يتعهـد الثـاني بخدمتـه عسـكرياً . ويعتقـد أن منشـأ مؤسسة التبعية هذه التي شاعت في العصور الأوربية الوسطى في أوربا الغربية قد جاء من مصدرين :

1- **المصـدر الجرمـاني** : كـان للجرمـان الأوائـل قبـل دخـولهم الإمبراطوريـة الرومانية مؤسسة شبيهة بمؤسسة التبعية قائمة على أساس عسكري ويشار لها "**الرفقة الباسلة**" ، وهذه تتألف من مجموعة أفراد أحرار التفوا حول راية زعيم من الزعماء ونذروا أنفسهم للموت دفاعاً عن زعيمهم.
2- **المصدر الروماني** : كانت هناك مؤسسة شبيهة بمؤسسة العبيد لدى الرومان ، ولهـا مظهـران عسـكري ومـدني يشـار لهـا "**مؤسسـة الحمايـة**"،يتعهـد فيهـا الحامي ان يعيل الإتباع مقابل خدمات عسكرية ومدنية. ويشار الى الطريقة التي ينضوي فيها الفرد الحر تحت راية الحامي او الزعيم **بالالجاء** . وكانت التبعيـة تعتمـد فـي البدايـة علـى فـرق المشـاة ، وأصـبح الأتبـاع فيمـا بعـد

يتجمعون بشكل فرق الخالية او الفروسية وأصبحت الفروسية هي الجهاز العسكري الطاغي طيلة العصور الوسطى، وتتم التبعية عادة في العصور الوسطى في احتفالات خاصة دينية ودنيوية، يقوم فيها التابع بتقديم واجبين أساسيين الى سيده ويشار الى الأول بواجب "**الولاء Homage**" ويشار الى الثاني بواجب "**الإخلاص Fealty**".

2- الضيعية Fiefdom :

تعتمد على الأرض المقطعة وعلى كافة حقوق الإستثمار الإقتصادي سواء أكانت الأرض المقطعة تتألف من ضيعة واحدة أو عدة ضياع . و هذه الظاهرة معروفة منذ العهد الروماني . والأراضي المقطعة في العهد الروماني وأوائل العصور الوسطى عبارة عن ملك مؤقت ، إلا أنها تحولت الى تملك لمدى الحياة ثم أصبحت وراثية فيما بعد . فهي أما ان تكون من ملوك وهبوها الى أتباعهم من الأمراء او إستحصلت عن طريق القوة أو أنها جاءت نتيجة لتنازل ملاكين صغار عن ملكيتهم الى زعيم مجاور قوي يتمكن من حمايتهم على ان يسمح لهم بإستثمار سطح الأرض فقط لمدى حياة الملك الأصلي في البداية وقد أصبحت وراثية فيما بعد بأسرة المالك الصغير الأصلي.

3- السلطة Authority :

لا يمكن للإقطاع ان يكون كاملاً الا إذا إتحدت فيه تلك المكونات الثلاثة : **التبعية ، الضيعية، وحق ممارسة السلطة.** أما المنطقة الإقطاعية او الوحدة الإقطاعية التي يمارس فيها الزعيم الإقطاعي السيادة فيشار لها **الدومين** Dominion او **اللوردية** Lordship ، مع العلم إن كلمة الدومين تشير الى التملك والسلطة ، ويجب ان يفهم بان سلطة الرئيس الإقطاعي في الدومين وكذلك حقوق ملكيته محدودة ، أي غير مطلقة حددتها العقود الإقطاعية والعرف ، فلا يحق له مثلاً أن يصادر ما في حوزة أتباعه او أن يجور عليهم في الحكم لأن هؤلاء الأتباع هم من الطبقة الأرستقراطية التي ينتمي أليها الرئيس ، مع العلم بأنه قد توجد في الدومين عدة مؤسسات قضائية تشارك السيد الإقطاعي السلطة في الدومين ، **كمحاكم الكنيسة والمحاكم الملكية** . وكانت المحاكم الإقطاعية في الدومين تتبع عدة

طرق بدائية في معرفة الحق من الباطل او التفريق بين المجرم والبريء . فهناك مثلاً **طريقة المبارزة:** وذلك بتحكيم السيف او السلاح بين متخاصمين وإن المنتصر عادةً يكون الحق معه لان الله مع الحق ، وهناك طريقة **التحكيم المحني** : وذلك باللجوء الى تحكيم قوى الطبيعة بين المتخاصمين لمعرفة الحق من الباطل وتتبع من اجل ذلك عدة طرق كتحكيم النار ،أي ان يجبر المتهم أن يسير بين صفي نيران مشتعلة ، فان لم تمسسه النار بسوء فذلك دليل على براءته لأن النار لا تمس الإبرار أو يلجأ الى تحكيم المياه كأن يلقى المتهم في بركة مياه فإن لم يغطس لمدة معقولة ، حسب رأي المحكمين ،يأخذ بجريرته لأنه لو كان طاهراً لاحتضنته المياه لمدة معقولة .

التعهدات الإقطاعية

وتتألف من قسمين يشار الى الأول **بالمساعدات** ويشار الى الثاني **بالمشورات**. ويقصد **بالمساعدات** : الإعانات المالية والواجبات العسكرية، فهناك عدة مناسبات يتحتم فيها على التابع أن يؤدي الى سيده مبالغ معينة تكون نوعية عادةٍ (عينية) وذلك في الحالات الآتية :-

1- عندما يصبح الإبن الأكبر فارساً.

2- في حالة زواج بنت السيد الإقطاعي الكبرى.

3- في حالة وقوع الرئيس الإقطاعي في الأسر حيث يجب تقديم الأموال المترتبة على كل تابع من أجل إفتدائه من الأسر.

4- الضيافة : ويقصد بذلك أن يقوم التابع بتضييف سيده هو وحراسه فيما إذا مرّ في منطقة التابع.

اما المساعدات العسكرية فتتلخص في أن يخدم التابع عسكرياً في قلعة النبيل الإقطاعي لمدة أربعين يوماً في السنة الواحدة ، وعليه ان يقوم بتزويد نفسه طيلة تلك المدة بالأسلحة الضرورية ومواد المعيشة ،وقد تكلف أسرة التابع ايضاً ان تقوم ببعض الإعمال في قصر الأمير الإقطاعي لمدة معينة في كل سنة.

ويقصد **بالمشورات** : تقديم النصح والإرشاد للإقطاعي في أعماله الإدارية والقضائية إن دعت الضرورة ، وعليهم أيضاً حضور الإجتماعات العامة التي يدعو إليها الرئيس الإقطاعي ، وعادةً ما تكون تلك الإجتماعات في قلعة الأمير، وذلك

لإستشارتهم في أمور الحرب والسلم إذا اقتضت الحالة ذلك ، كما يمكن للأمير الإقطاعي أن يقترح زيادة العوائد في تلك الدعوات العامة ، ولا يمكن للعوائد الجديدة ان تكون سارية المفعول إلا بعد موافقة أكثرية الحاضرين من الأتباع .

الوراثة الاقطاعية :

إن القاعدة الأساسية في وراثة الإقطاعيات أن تكون الى **الأبن الأكبر**، وذلك لتحديد مسؤوليات التبعية في شخص واحد للمحافظة على وحدة إنتاج الضياع الإقطاعية ، وعلى الوريث الجديد ان يؤدي واجبي **الولاء** Homage ، و**الإخلاص** Fealty عند إستلامه الميراث من السيد الإقطاعي وأن يقدم له أيضاً مبلغاً من المال يشار له **الخلاص**.

أما في حالة عدم وجود وريث للتابع ، فتعود الأرض الى رئيس الإقطاع وفي هذه الحالة تسمى تلك الأرض **الإيالة**.أما إذا كان الوريث دون سن الرشد فيقوم رئيس الإقطاع بالوصاية عليه ويتقاضى عن ذلك مبالغ من المال يشار لها **بحقوق الوصاية** ، أما إذا لم يكن للتابع الراحل وريث من الذكور فان زوج البنت الكبرى هو الذي يرث المقاطعات بعد ان يؤدي واجبات التبعية من ولاء وإخلاص ومبلغ الخلاص. وهناك ظاهرة لوحظت في أواخر العصور الوسطى في المجتمعات الإقطاعية في أوربا الغربية فيما يخص الوراثة ، إذ ظهرت **الوراثة الوقفية الذرية** ، وذلك بأن تقسم العائدات على أسرة التابع الراحل على شرط أن يتولى أكبرهم عمراً مسؤولية المقاطعة إتجاه رئيس الإقطاع.

وحدة الإنتاج الأساسية في الإقطاع

الوحدة الأساسية في الإنتاج في العصور الإقطاعية في أوربا الغربية هي **الضيعة او القرية** ، والمنتجون هم الأقنان وليس الأتباع ، لان مهنة التابع هي التملك والإدارة والقتال .

و**القنانة : عبارة عن مرحلة تطويرية وسطى بين العمل العبودي والعمل الحر . واصل الأقنان أما عبيدا إرتفعوا في السلم الإجتماعي أو صغاراً احراراً أزرى بهم الدهر** . وتكون الضيعة وحدة إنتاجية قائمة بذاتها ، والإنتاج عادةً من أجل المعيشة وليس من أجل المتاجرة ، والتعامل بين الناس يكون عادةً عن طريق

المقايضة او التبادل النوعي أو العيني .ولم تظهر ظاهرة التعامل النقدي الا في المراحل الأخيرة من العصور الإقطاعية.

وطريقة الزراعة هي في مناوبة المحاصيل ، أي تزرع نصف المساحة ويترك النصف الآخر **بوراً** من أجل إستعادة الخصوبة . و طرأت بعض التحسينات على طريقة الزراعة في الأدوار الأخيرة من العصور الإقطاعية ، اذ أخذ الفلاحون يستفيدون من ثلثي مساحة الأراضي وترك الثلث الأخر مهجوراً لمدة موسمية لإستعادة خصوبتها ويشار الى هذه الطريقة **نظام الحقل الثلاثي.**

الفروسية الإقطاعية:

وهي الجهاز العسكري في مؤسسة التبعية وتقتصر على الطبقة الارستقراطية . أصبحت الفروسية فلسفة إجتماعية وجهازاً طبقياً لها ما يميزها من خصائص تربوية ومسلكية . ويمر الفرد الذي ينخرط في الفروسية **بثلاث مراحل** قبل ان يصبح فارساً.

1- المرحلة الأولى :

وتمتد من سن السابعة الى الرابعة عشر ، حيث يرسل فيها الصبي الى قصر رئيس الإقطاع لكي يتعود على السلوك الأرستقراطي.

2- المرحلة الثانية :

وتمتد من سن الرابعة عشر حتى الحادي والعشرين ، حيث يلازم الفتى احد الفرسان ملازمة تامة في حله وترحاله ويقوم بمساعدته في إرتداء الدروع ونزعها والاعتناء بأسلحته الإحتياطية . ويشار الى هذه المرحلة بمرحلة **حامل الترس** ، اذ عليه ان يتدرب على القتال ضد الشواخص والدمى.

3- مرحلة تقلد السلاح :

تنتهي هذه المرحلة بإحتفال عندما يكمل الفتى مراحل التدريب وللإحتفال مظهران ديني ودنيوي ، حيث تشترك الكنيسة في إحتفالات تقليد السلاح وعندذاك يعلن الفتى بأنه قد أصبح **فارساً** . وتعتمد الفروسية على ثلاثة أسس هي:-

1- **الحرب.**

2- **الدين .**

3- **الشهامة.**

وهناك عدة صفات لكل أساس من هذه الأسس ، فمن صفات **الحرب** : الشجاعة، الطاعة، الكرم؛ ومن صفات **الدين** : الولاء ، الإخلاص ، العفة؛ أما صفات **الشهامة** : الحب ، التواضع ، الإحسان.

بلغت الفروسية عنفوانها بين القرنين العاشر والثالث عشرالميلاديين . ومن أشهر الفرسان هي الإستبارية وفرسان المعبد ، وقد تشكلت هاتين الفرقتين في الأراضي المقدسة أثناء الحروب الصليبية ثم نقلت فعالياتها الى أوربا. إختلف المؤرخون في تقييم الفروسية ، فعدها البعض مؤسسة شريرة تظاهرت بالمثل رياءً وإن تاريخ الفروسية في أوربا مليء بالمآسي والحروب المحلية مما اضطر رجال الدين في أواخر القرن الحادي عشر الى توجيه الدعوات للتقليل من تلك المعارك الداخلية في المجتمع المسيحي الأوربي التي سببها الفرسان ، لهذا دعت الى السلام الذي يشار له **بالهدنة الربانية** ، وذلك ليمتنع هؤلاء من شن الحروب المحلية والاقتتال الفردي في أيام معينة من الأسبوع وفي مواسم معينة من السنة. ويرى البعض الآخر أن الفروسية مؤسسة تهدف الى خدمة المجتمع وإنها مصدراً للخير. وعلى العموم فإن الفروسية كانت مرحلة مهمة في تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، شكلت آدابها رصيداً لم يزل بعض الكتاب يرجعون إليه حتى الوقت الحاضر ، كما ان فرق الفرسان الأوربية قدمت خدمات عسكرية لا يستهان بها خاصة في حقبة الغزو الثاني لأوربا.